

د. عبد الله بن محمد الغفيس

صورة المشرق العربي في الشعر المغربي المعاصر مقاربة موضوعاتية

د. عبد الله بن محمد الغفيس (*)

المقدمة:

في ثلاثينيات القرن العشرين بدأت بواكير النهضة الشعرية في ذلك الفضاء الجغرافي غرب القارة الإفريقية وعلى شواطئ الأطلسي، عندما بدأ الشعراء المغاربة في التوجه نحو المشرق العربي، متأثرين بسلطته الروحية والحضارية، وما أحدثته حركات التجديد في مصر والعراق والشام؛ حيث ظهرت المدارس الشعرية التي نقلت الشعر نقلة نوعية، كمدرسة الديوان ١٩٢١م، وجماعة أبولو ١٩٣٢م، وحركة الشعر الحر في العراق عند نازك الملائكة والسياب في خمسينيات القرن الماضي ١٩٤٧م، وفي مصر عند صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي في ستينيات القرن الماضي ١٩٥٧م، وكذلك في لبنان عند خليل حاوي وأدونيس، وفي فلسطين عند محمود درويش وفدوى طوقان وغيرهم من شعراء التجديد في المشرق، فتأثر بهم شعراء المغرب العربي، ووجدوا في هذا الحراك الشعري فرصة لهم لتجديد الصلة بلغتهم وإرثهم الحضاري انتماءً وشعوراً بالهوية الوطنية العربية لمقاومة الاستعمار الفرنسي، الذي أحكم قبضته على حياة المغاربة في مطلع القرن العشرين ١٩١٢م.

هذه البواكير الشعرية لشعراء المغرب في ثلاثينيات القرن العشرين بدأت بالازدياد والتطور، خاصة بعد نيل المغرب استقلاله في ستينيات القرن العشرين ١٩٥٦م، حيث تشير الدراسات إلى أن عدد الأعمال الشعرية في العقود الثلاثة

صورة المشرق العربي

التي سبقت الاستقلال لم تتجاوز سبعة أعمال شعرية فقط، بينما في العقود الثلاثة التي أعقبت الاستقلال بلغ عدد الأعمال الشعرية عشرات الدواوين، وذلك في تسعينيات القرن الماضي، وما يزال هذا الوهج الشعري المغربي مستمراً في العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين، هذا الحراك الشعري المتصاعد في بلاد المغرب العربي قادني للتفكير في مضامين هذه المدونة المغربية وصلتها بالمشرق العربي موضوعياً وحضارياً ودلائلياً، ليأتي هذا البحث الذي يسعى لتتبع صورته المشرق ورصد تجلياتها في الشعر المغربي الحديث، ومدى التواشج الموضوعي والحضاري بين هذه المدونة الشعرية وإرثها الحضاري في المشرق العربي، ورصد تطور الرؤية الشعرية تاريخياً وفكرياً وسياسيولوجياً وسيكولوجياً عند الشعراء المغاربة في رؤيتهم الذاتية والموضوعية للمشرق العربي؛ خدمه للعربية وآدابها في بيئاتها المختلفة، معتمداً المنهج الموضوعاتي وإجراءاته الفنية وصفاً وتحليلاً، في خطة تشتمل على ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة ويعقبها خاتمة، ففي المبحث الأول حديث عن الموضوعاتية ومقاربة النص الأدبي، أما المبحث الثاني ففيه رصد لتجليات الحضارية والثقافية والدينية المشرقية في مدونة الشعر المغربي الحديث، ويأتي المبحث الثالث للكشف عن أسباب ومظاهر التواشج والتعلق الموضوعي المشرقي في تلك المدونة، وفي نهاية البحث تأتي الخاتمة لبيان نتائج البحث وتوصياته، ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعته.

المبحث الأول

الموضوعاتية ومقاربة النص الأدبي

للنص الأدبي ارتباط بسياقاته الخارجية التي تضيء النص وتحدد مساره في الزمان والمكان، تلك السياقات تشكلها الأبعاد السيكلوجية (النفسية)، والسيكولوجية (الاجتماعية)، والإبستمولوجية (المعرفية)، للمبدع الذي يعبر في نصه عن رؤى وأفكار منبثقة من تلك الأبعاد، وتمثل التجليات الحضارية والثقافية والدينية المشرقية في مدونة الشعر المغربي جزءاً من تلك الأبعاد، فالشاعر المغربي مرتبط بمرجعياته الحضارية المشرقية وجدانياً ومعرفياً ونصه الشعري متشكل من رؤية إنثروبولوجية (إنسانية) بأبعادها الثقافية والاجتماعية والحضارية، وهذا ما وقفت عليه هذه الدراسة بمنهجها الموضوعاتي، حيث تروم إعطاء صورة كاشفة عن تلك التجليات، من خلال تتبع التيمات الموضوعية في الشعر المغربي التي تكشف لنا عن طبيعة الصلة بين الشعراء العرب في مشرق العالم العربي ومغربه، فصورة المشرق وخصوصيته الدينية والحضارية جعلت ثلة من الشعراء المغاربة يعبرون عن ذلك في قصائدهم، وهذا ما وقفت عليه هذه الدراسة فبعض القصائد تناول موضوعاً مشرقياً شكل القصيدة كلها بنائياً ودلالياً من عنوانها وحتى آخر بيت فيها، وجاءت بعض القصائد ذات حمولة مشرقية في تضاعيف بعض أبياتها، عندما حضرت تلك التيمات التي ألحت على وعي الشعراء ومخيالهم الشعري، وربطتهم بسياقهم الحضاري الممتد عبر الزمن في الجزيرة العربية وبلاد مصر والعراق والشام، وما تمثله حضارياً وثقافياً ودينيّاً لأولئك الشعراء.

صورة المشرق العربي

والموضوعاتية أو علم الموضوع: هي الأدوات المنهجية التي تدرس الموضوع في النص الأدبي، عندما تركز على التردد المستمر لفكرة ما أو صورة ما في ذلك النص الإبداعي^(١).

إذاً فاهتمام النقد الموضوعاتي متمثل بموضوع العمل الأدبي وما يعبر عنه من أفكار في مختلف الاتجاهات المعرفية والفكرية والوجدانية، وبعبارة أخرى يهتم النقد الموضوعاتي بجميع جوانب العمل الأدبي وما يحيط به من جهة المبدع ومن جهة النص بأبعاده السيكلوجية والسيسولوجية والتاريخية، عندما يهدف إلى رصد التيمات المتكررة في النص التي ألحت على الشاعر، ودلالات ذلك وأبعاده في تشكيل رؤيته تجاه هذا الموضوع أو ذلك، من خلال العلاقات التي تحكم الدال بالمدلول، أو تلك التي تحكم ضوابط إنتاجية المعنى في هذا النص أو ذاك قوة وضعفاً، فالمعنى ليس حاصل مجموع الكلمات، لكنه حاصل مجموع العلاقات التي تقوم فيما بينها، ولذلك تعطي معنى مغايراً في كل تركيب، ومن هنا تعددت المعاني التي يسعى الناقد لكشفها وبيانها.

ومعلوم أن لكل منهج من المناهج النقدية مرجعية معرفية وخلفية فلسفية، والمنهج الموضوعاتي الذي ظهر في أوروبا، وخاصة في فرنسا في ستينيات القرن العشرين، يستند بأدواته وإجراءاته إلى أسس فلسفية ظاهراتية^(٢) ووجودية وميتافيزيقية، شكلت الإطار النظري والخلفية المعرفية لهذا النقد في الغرب، فقد مهد له الفيلسوف الظاهراتي الفرنسي (غاستون باشلار Gaston Bachelard)، وكذلك الناقد الشكلائي الظاهراتي البلجيكي (جورج بوليه Georges Poulet)، وتجلت معالم هذا المنهج بتطبيقاته على يد ناقلين فرنسيين هما (جان بول ويبر Jean Paul weber) و(جان بيير ريشار Jean Pierre Richard)، وفي رحلة انتقال هذا المصطلح عربياً نجد أنه تأخر حتى ثمانينيات القرن العشرين، ومن

د. عبد الله بن محمد الغفيص

أوائل من طبق ونظر للموضوعاتية في العالم العربي الدكتور عبد الكريم حسن، في رسالته لنيل دكتوراه الدولة بعنوان (الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب) سنة ١٩٨٣م، وله كتاب آخر بعنوان (المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق) صدر ١٩٩٠م، وقد حدد عدداً من مفاهيم وآليات المقاربة الموضوعاتية، وكذلك عبد الفتاح كليطو في كتابه (موضوعاتية القدر في روايات فرانسو مورياك)، وسعيد علوش في كتابه (النقد الموضوعاتي)، ومحمد عزام في كتابه (المنهج الموضوعي في النقد الأدبي)، وحמיד لحمداني في كتابه (سحر الموضوع)، ويوسف وجليسي في كتابه (التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري).

ويدعو جميل حمداوي في رؤيته لمقارنته الموضوعاتية إلى "استقراء التيمات الأساسية الواعية واللاواعية للنصوص الإبداعية المتميزة، وتحديد محاورها الدلالية المتكررة والمتواترة، واستخلاص بنياتها العنوانية المدارية تفكيكاً وتشريحاً وتحليلاً، عبر عمليات التجميع المعجمي والإحصاء الدلالي لكل القيم والسمات المعنوية المهيمنة التي تتحكم في البنى المضمونية للنصوص الإبداعية"^(٣).

وقد ارتبط مصطلح التيمة أو الثيمة بالنقد الموضوعاتي، وأصبحت تستعمل عند هؤلاء النقاد وغيرهم للدلالة على المضمون الدلالي المتكرر الذي يتطرق إليه الكاتب، ويعبر عن الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة في النص الأدبي^(٤).

"ولا يمكن للمقاربة الموضوعاتية أن تبرز الفكرة المهيمنة والتيمة المحورية إلا بعد الانطلاق من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى"^(٥)، عن طريق "تفكيك النص الأدبي إلى حقول معجمية وجداول إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص أو العمل الإبداعي"^(٦)، التي شكلت مضامين النص ودلالاته عبر سياقات نصية ولا نصية، مستوحاة من المناهج النسقية والسياقية التي يستنبطها النقد الموضوعاتي في وصف العمل الأدبي وفهمه وتفسيره

صورة المشرق العربي

وتقويمه، في قراءة للنص تنتقل من الجزء إلى الكل، أو من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى، متأرجحة ما بين الرؤية الذاتية والقراءة الموضوعية في رحلة بحثها عن التيمات والبنىات الدلالية المحورية والموضوعات المتكررة في النص الأدبي، الذي يخضع وفق الرؤية الموضوعاتية لوعي الذات في أحوالها المختلفة إدراكياً ومعرفياً وانفعالياً، وإلى مضامين هذا الوعي المتحققة في الموضوع الذي يشكل أبعاد هذا النص الإبداعي في رؤيته للعالم، عندما تقوم المقاربة الموضوعاتية بالربط بين وعي الذات المدركة والموضوع المدرك من خلال الصلة بين البنية الدلالية الكلية والوعي الجماعي لدى الأديب وتعبيره عن ذلك.

فالذات المدركة بوعياها ولاوعياها وما قبل الوعي وما يرتبط بها من إدراك ومعرفة وإرادة وانفعال وصلة ذلك بالعمل الأدبي، هو مجال اشتغال المنهج الموضوعاتي لتحديد مضامين هذا الوعي داخل النص، وما يرتبط بها من أحداث وأشياء وكائنات طبيعية ونفس إنسانية، عندما يتردد موضوع ما في النص ويلح على المبدع ليشكل لازمة متكررة، سواء أكان فكرة أم صورة، بل وحتى تكرار الألفاظ المعبرة عن الرؤية الشعرية من خلال ما يعرف بالعائلة اللغوية لمفهوم أو لفظة ما، عن طريق الرصد التيماتي الإحصائي لألفاظ وتراكيب هذه العائلة اللغوية داخل النص، وتحولاتها الدلالية للوصول إلى معاني النص وتأويلاته المتعددة^(٧).

المبحث الثاني

رصد التجليات الحضارية والثقافية والدينية المشرقية

في مدونة الشعر المغربي الحديث والمعاصر

الدراسة التطبيقية للمنهج الموضوعاتي في هذه المقاربة الموضوعاتية لصورة المشرق في الشعر المغربي الحديث والمعاصر - من خلال الوقوف على التجليات الحضارية والثقافية والدينية المشرقية في تلك المدونة-، تقتضي رصد أهم التيمات المشرقية التي ألحت على وعي أولئك الشعراء في قصائدهم، وكيف عبروا عن ذلك وإحالة تلك التيمات لحقولها الدلالية؛ من أجل قراءة كاشفة إحصائياً وتأويلياً، من خلال تطبيق أدوات وآليات المنهج الموضوعاتي على تلك النصوص المغربية، ومدى (الحسية والتجانس والخيال والعمق والقصيدة والوعي وحركة الدال والمدلول ومستتبعات التراكيب)، كي تحقق المقاربة النقدية مبتغاها ونتائجها المرجوة في هذه الدراسة^(٨).

وتختلف أنماط التيمات في نصوص أولئك الشعراء حسب الفكرة الكلية، التي يريد هذا الشاعر أو ذاك التعبير عنها ما بين حضارية أو فكرية أو دينية أو قومية، هذه المضامين ذات حمولة مشرقية تاريخية في بعض تجلياتها، وفي بعضها الآخر نجدها ذات حمولة مشرقية تعكس تجليات الأحداث المعاصرة في المشرق العربي، والمتأمل في النصوص الشعرية المغربية الحديثة والمعاصرة التي تناولت موضوعاً مشرقياً ألح على مخيال الشاعر ورصده في قصيدة كاملة، أو كان ذلك الموضوع المشرقي قد تبدى في بعض تجليات القصيدة، - وإن كان الاتجاه الأول هو السائد عند أولئك الشعراء المغاربة، الذين لم يستطيعوا الانفكاك

صورة المشرق العربي

عن سحر الموضوع المشرقي، فطالت قصائد بعضهم عن المشرق لتصل إلى مئات الأبيات والأسطر الشعرية، كما سنيين في هذه المقاربة - يجد أن المسارات الكلية لتلك المدونة المغربية في رؤيتها للمشرق قد تبدت من خلال عدد من النزعات الموضوعاتية مشكلة حقولاً دلالية خاصة بهذه النزعة أو تلك؛ لتكشف لنا عن تلك التجليات المشرقية وحمولاتها الموضوعاتية، ويمكننا أن نحصر تلك النزعات المشرقية عند الشعراء المغاربة بأربع نزعات تتماهى مع ما وقفت عليه هذه الدراسة من نصوص شعرية.

أولاً: النزعة الحضارية الإسلامية

تعبّر التجربة الشعورية عند بعض الشعراء المغاربة عن مركزية الهاجس الحضاري المشرقي من خلال ما تطالعنا به قصائدهم، التي عبرت عن موقف رؤبوي تجاه قضايا الأمة الإسلامية وإرثها الحضاري والديني، عبر تكرار تيماتى لمفردات منتمة لحقل دلالي مفاهيمي محدد، رسمت من خلاله القصيدة المغربية لوحة مشرقية بألوان ورؤى مغربية، وقد تجلت النزعة الحضارية الإسلامية المشرقية في مدونة الشعر المغربي الحديث والمعاصر من خلال مسارين متلازمين في القصيدة المغربية؛ أحدهما عام عبر عن حال الأمة الإسلامية في ماضيها التليد وواقعها المأزوم بالنكسات المعيقة لها عن اللحاق بركب الأمم المتقدمة، ومسار آخر يتناول قضية محددة من هذا الواقع الإسلامي، ألا وهي قضية فلسطين واحتلال الصهاينة للقدس الشريف أرض الإسراء والمعراج، فشعراء المغرب يمثلون لسان الأمة الإسلامية في مغربها، حيث ينتهي هناك أحد طرفي خارطة الأمة الإسلامية، فهم في تموقعهم هذا يرنو طرفهم إلى شرق الأمة الإسلامية فيتفاعلون مع قضاياها المصيرية، يشدهم في ذلك إرث حضاري مُشرق وعاطفة إسلامية، تملك وجدانهم ومخيالهم الشعري تجاه ذلك الإرث الحضاري،

د عبد الله بن محمد الغفيص

يحدوهم الأمل بأن يصلح حال الأمة وتستفيق من سباتها وغفلتها وتأخرها؛ لتستعيد مكانتها ومجدها بين الأمم.

ويعبر الشاعر عبد الله كنون^(٩) عن ذلك بقوله: "إن حالة المسلمين كانت تحز في نفسي وتجعلني أقارن بمنتهى الأسف بينما كانوا عليه من عزة وسؤدد، وما صاروا إليه من ذل وهوان، وقصيدة (لسان حال الدولة الإسلامية) من مظاهر الثورة التي اعتلجت في نفسي أول نشأتي على واقع المسلمين"^(١٠) وهذه القصيدة قد جاءت في أربعة وعشرين بيتاً، ويقوم حقلها الدلالي على التضاد والمقابلة بين حال الدول الغربية ونهضتها المعاصرة، وما يقابلها من حال الدول الإسلامية، وما تعيشه من تشرذم واختلاف وضعف، مذكراً بأمجاد الأمة السالفة وتاريخها المجيد؛ كي يستنهض همم أبنائها ليغيروا من هذا الواقع المأساوي في نظر الشاعر، مقيماً القصيدة على ثنائيات مختلفة القوافي، منوعاً المعاني في هذين الحقلين القائمين على التضاد؛ ليرسم لنا صورة عن الواقع الإسلامي كما يراه الشاعر في تلك الفترة التي كانت كثيراً من الدول الإسلامية تزح تحت وطأة الاستعمار الغربي، ومما جاء في تلك القصيدة معبراً على لسان الدول الإسلامية التي آلمه ما وصلت إليه من تأخر وتراجع:

دول والإفرنج تعلي شأنها وأنا في كل شيء دونها
وبنوها أحرزوا كيانها وبنى الغفل نهب بينها

يا بني الإسلام ما هذا الجمود

سارت الدول تترى للأمام وامتطت من ذروة المجد السنام
وأنا رهن اختلال في النظام واحتكام من عداتي واهتضام^(١١)

وعندما ننقل من الشعر الحديث إلى المعاصر بكل تقنياته التعبيرية وطاقاته الإبداعية، نجد قصائد متعددة عبرت عن واقع الأمة وماضيها، فهذه قصيدة

صورة المشرق العربي

(القطعان) لحسين القمري^(١٢)، يصور لنا فيها أحوال الأمة الإسلامية، وما تعيشه من ضعف وسلب لحقوقها؛ بسبب بعدها عن تمسكها بدينها وتعاليمه التي هي السبيل الوحيد لنجاتها في رحلتها نحو التقدم والازدهار، بلغة مكثفة يتجسد فيها خوف الشاعر وإحساسه بأحوال أمته في مشرقها ومغربها، فيقول:

بعيداً عن سماء الروح

مال بنا الشراع

وفي أباريق المساء ظلال ساقية

زرعنا في حدائقها الكلام

فما وجدنا في قلاع الصمت غير ظلالنا

والأمنيات

صدى تحجر

وأورقت كلماتنا

ذهباً

وقافلةً

ترقص فوق أشلائنا

صدى تحجر

وأثمرت أشجارنا

جيشاً من الموتى

وأقماراً سرابية

نقيس بها أناشيد المغبة والسراب^(١٣)

د ٠ عبد الله بن محمد الغفيس

ونلاحظ هنا أن تيمات الحقل الدلالي لعنوان القصيدة (القطعان) جاء معبراً عن مضامينها (مال بنا الشراع، تحجر، أشلائنا، جيشاً من الموتى، أقماراً سرايية، المغبة، السراب).

ويعتبر الشاعر أحمد المجاطي^(١٤) من الشعراء المغاربة الفاعلين في المشهد الشعري، وهو من شعراء الستينيات ومن رواد الشعر المغربي المعاصر، وقد عبر عن أحوال أمته الإسلامية من خلال ما يعرف بشعر التجربة، فقائد المجاطي في ديوانه (الفروسية) تتحدث عن هذا الواقع بصورة فنية بديعة، استخدم فيها جميع التقنيات الفنية من خيال وصورة وانزياحات، في تجربة شعرية تولد وتتفصل عن ذات الشاعر لحظة ولادتها، فتصبح القصيدة كياناً نابضاً بالحركة والحضور لتعبر عن ذاتها بذاتها، فيخرج القارئ منها شخصاً آخر من حيث التصور والرؤية، وكل قصائد المجاطي التي تحدث فيها عن واقع الأمة الإسلامية تشي بهذا الشعور والتأثير على المتلقي، ومن تلك القصائد قصيدة (الفروسية) التي تعبر عن تاريخ الأمة الإسلامية المجيد والعزف على أمجاده، علّ هذا العزف يستنهض الهمم الخاملة، منتظراً أن يحدث ذلك أثراً في المتلقي، فيقول:

منتظراً ما زلت أرقب العصا

تفسخ جلد الحية الرقطاء

ألقيتها على الثرى فلم تفض

أخشابها باللحم والدّماء

منتظراً

تقلت من أصابعي الثوان

ويستفيض البرص الأبلق

في رجائي^(١٥)

صورة المشرق العربي

وتسيطر التجربة الشعورية الإسلامية على الشاعر محمد بنعمارة^(١٦) في قصيدته (سجل أني إسلامي)، ليخاطب مدينة من مدن البلاد العربية في المشرق، تلك المدينة هي بيروت، بيروت الثقافة والأدب التي دمرتها الحروب والنزاعات الطائفية بين مكوناتها، ولا يجد شاعرنا للخروج من واقعها إلا بوجهها الإسلامي، الذي يعيد الاستقرار إليها كما كانت عبر التاريخ الإسلامي الممتد، ففي المقطع الثاني من القصيدة الذي جاء بعنوان (وجهك إسلامي يا بيروت) يخاطب بيروت، فيقول:

مجدولة شعر من ذهب	ذبحوك وقالوا قد ماتت
وأينك نار من لهب	لمداك رياح غاضبة
أضحى أعواداً من قصب	الآن صـنـوبـرك العـمـاتي
حاد أتت كالمسئل وكالجرب	نخرتها أمراض الإلـ
لا أنكر أنساب العرب	سـجـل أنـي إسـلامـي
في ليل يغزو بيروت	يا رائحة البحر الباكي
نجلاء تعانق طاغوت ^(١٧)	والقتل يطوف شوارعها

ويرتد الشاعر للتاريخ ويتجاوز واقعه؛ ليعبر عن المتخيل الجمعي المختزل في ذهنه عن تاريخ أبطال الإسلام؛ إذ يمثل ذلك مرتكزاً أساسياً في رؤية الشاعر الفنية في نهاية القصيدة، فيخاطب صلاح الدين الأيوبي الذي أصبح أيقونة الانتصارات الإسلامية ضد الصليبيين، فيخاطبه شاكياً له أوضاع العرب في زمن ضعفهم وتفككهم، وذلك في المقطع الثالث من هذه القصيدة، الذي أطلق عليه عنوان (بيروت الأم إلى أجل) ومما جاء فيه:

إيه صلاح لقد فشلوا	واختاروا الردة عنوانا
فمشوا قطعاناً تهزمهم	دنيا تفتن عميانا

د ٠ عبد الله بن محمد الغفيس

إني أتذكر فيك سني إذ كنت تقاتل جوعانا
وتقاتل صفاً ملتحمأً وتبائع ربنا رحمانا
بيروت الأم إلى أجل سيعود صلاح كما كانا
سيعود يرتل آيته ويعيد إليك الإنساننا (١٨)

ومن رحم هذا الواقع الإسلامي المتشظي بأحداثه وقضاياه، تأتي قضية فلسطين التي واكبها الشعر العربي الحديث منذ بدايتها في مطلع القرن العشرين وإلى يومنا هذا، وعاش مراحلها وأطوارها وحروبها بانتصاراتها ونكساتها ونكباتها، فمنذ وعد بلفور سنة ١٩١٧م، القاضي بتأسيس وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وما تبعه من أحداث وانتفاضات للشعب الفلسطيني والشعوب العربية، والحروب بين العرب وإسرائيل، ومن أهمها الثورة الفلسطينية الكبرى ضد المستعمرين الإنجليزي واليهود من سنة (١٩٢٠ - ١٩٣٩م)، وما تبع هذه الثورات من تقسيم لفلسطين بعد إنهاء الانتداب البريطاني عليها سنة ١٩٤٧م، وقيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، وإعلان العرب الحرب عليها فيما عرف بحرب النكبة، حيث هجم اليهود على الفلسطينيين في بلداتهم وقتلوا وهجروا مئات الألوف منهم، ثم بعد ذلك ما حصل من عدوان ثلاثي على مصر من فرنسا وإسرائيل وبريطانيا بما سمي بحرب ١٩٥٦م، ثم حرب ١٩٦٧م وهي ما سمي بحرب الأيام الستة، وتعرف بحرب النكسة وفيها هزمت الجيوش العربية واحتلت سيناء وهضبة الجولان والضفة الغربية، ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وفيها انتصرت الجيوش العربية على إسرائيل، ثم ما تبع تلك الحروب من انتفاضة فلسطينية سميت بانتفاضة الحجارة ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، كل تلك الأحداث كانت تقع على مسمع ومرأى من المواطن العربي في مشرق العالم العربي ومغربه؛ لذلك واكبها الشعراء المغاربة باعتبارها قضية العرب والمسلمين الأولى، حيث القدس والمسجد الأقصى والأرض

صورة المشرق العربي

المباركة أرض الإسراء والمعراج، فرصدوا تلك الأحداث متفاعلين معها وجدانيًا ودينيًا، حيث استطاع الشعراء المغاربة أن يجعلوا من قضية فلسطين قوة تخيلية في قصائدهم المحملة بتلك الرؤى والدقات الشعورية والوجدانية من أجل وضع هذه القضية في إطارها الشعري المعبر عن تلك الوشائج والصلات بين أبناء المكون الإسلامي العربي ما بين المشرق والمغرب، فالشاعر المغربي لم تشغله محنته التي كان يعانيتها من العقد الثاني وحتى العقد السادس من القرن العشرين، عندما كان يريزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الذي كان متزامناً مع أحداث فلسطين في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، بل واكب المحنيتين وعبر عنهما وعن سبيل الخروج من نير المستعمر والمحتل في المغرب والمشرق، حيث الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد...، فهذا عبد المجيد الفاسي^(١٩) في قصيدته التي عنوانها بعنوان يشي بصلة وارتباط الشاعر بأرض فلسطين (يا فلسطين يا بلاد جدودي)، فتيّمت هذا العنوان حيث تكرر النداء وأنها أرض الأجداد- لها دلالة في تأكيد دور رسالة الشعر المغربي في إرساء وتدعيم أواصر العلاقة بين أبناء الشعوب العربية في دولهم المختلفة في مشرق العالم العربي ومغربه، ويؤكد الشاعر في قصيدته على عودة فلسطين إلى حضنها العربي والإسلامي رغم أنف اليهود، ويحذر المسلمين في المشرق والمغرب من غدر اليهود وكيدهم، ويؤكد ثانياً على عروبة فلسطين منذ القدم؛ حتّى للعرب والمسلمين على نصره قدسهم وتحريره من اليهود الغاصبين، ومما جاء فيها:

يا فلسطين يا بلاد جدودي ستعودين رغم أنف اليهود
وبرغم الذين منهم تسماوا باسم صهيون كمشة من قرود
ستعودين للعروبة إننا قد فديناك بالنفوس فعودي

....

أيها المسلمون شرقاً وغرباً قد عرفتم كيد العدو اللدود
غصبوا أرضنا التي هي أرض وبلاد لنا بلاد الجدود
هي أرض لنا ولا ريب فيها من قديم وفي الزمان الجديد (٢٠)

فالقصيدة التي جاءت في مائة وعشرين بيتاً، جاءت مفرداتها وتراكيبها في حقلين دلاليين؛ أحدهما خاص بفلسطين، والآخر خاص باليهود، هذان الحقلان يتكونان من تيمات معبرة تدل على الانتماء والولاء في الحقل الأول، وتدل على البراءة والرفض في الحقل الثاني.

وفي قصيدة (الأقصى) يضيق محمد الحلوى (٢١) ذرعاً بمآسي الأمة وجراحها، التي تنزف دماً لا ينفد، خاصة بعد هزائم العرب على يد إسرائيل ووقوع المسجد الأقصى في قبضة اليهود، فيبكي القدس ويبكي مسجدها ويتمنى ذلك اليوم الذي تفتح فيه القدس وتعود لحضنها العربي والإسلامي، ومما جاء في تلك القصيدة:

لا لا! فقد بلغت مآسينا المدى وتعمقت فينا الخناجر والمدى
بحت حناجرنا فلم يُسمع لها صوت ولا دوى لأهلها صدى
وجراحنا أعياء الأساة علاجها وأبى نزيف دمائها أن ينفدا
عصفت بمركبنا أعاصير الهوى وطحت به الأنواء حتى أجهدا
نبكي على القدس المضاع ونحن من قد ضيعوا أقداسهم والمسجدا
وكأنما لم يعرف الإسلام في أبهائه حدثاً ولم يك منتدى

...

فمتى أرى أبواب قدسي فتحت والمسلمين على ثراه سجدا
وماذن الأقصى تجلجل فوقها الله أكبر لا يطاولها ندا
ومتى يجف الدمع في أجفاننا

صورة المشرق العربي

ونعانق الأقصى وينتصر الهدى (٢٢)

وتأتي قصيدة (القدس) للشاعر أحمد المجاطي بلغة شعرية مكثفة وفي تجربة شعرية حية، يروم الشاعر إيصالها للمتلقي عبر هذا اللبوس الشعري السردى، عندما جسد القدس وهي تدفن الريح (الثورة) تحت عرائش العتمة والظلام، الذي غطى سماء العالم العربي، وتلتحف صمتها خلف الشبابيك التي هي الحدود الجغرافية التي مزقت جسد العالم العربي وحالت دون وحدته، فيقول:

رأيتك تدفين الريح

تحت عرائش العتمة

وتلتحفين صمتك

خلف أعمدة الشبابيك

تصبين القبور

وتشربين فتظماً الأحقاب

ويظماً كل ما عتقت

من سحب ومن أكواب

ظمئنا

والردى فيك

فأين نموت يا عمه (٢٣)

فالتعبير في نهاية هذا المقطع بقوله: (يا عمه) يشي بالعلاقة التي تربطه بالقدس قرابة وانتماءً، فهي جزء من كيانه، وقد وزع الشاعر في نصه صيغ الأفعال ونوع في استعمالها؛ وذلك لتحقيق بنية الزمن الداخلي في النص لرسم صورة للحاضر والماضي والمستقبل، إلا أن صيغة المضارع كانت هي الأكثر؛ لسيطرة صورة الحاضر الذي تعيشه القدس على مخيال الشاعر وشاعريته.

د عبد الله بن محمد الغفيص

وفي قصيدة أخرى حملت نفس العنوان (القدس) الذي شكل بؤرة سيطرت على مخيال الشعراء المغاربة تأتي قصيدة (القدس) لعبد الكريم الطبال^(٢٤)، التي أقامها على عدد من الصور التشبيهية التي تصور لنا مدينة القدس بلغة شعرية انزياحية معبرة، فلغة الطبال في قصائده لغة انزياح مستمر معجمياً ودلالياً، فهي في هذه القصيدة كشجرة زيتون زيتنا يضيء ولو لم تمسسه نار، وكجبل يخز صعقاً لله، وكبراق في السماء لا يغيب، إلى آخر تلك الصور التي يتناص فيها مع آي القرآن الكريم، فالتناص أو النص الغائب - كما عبر عنه محمد بنيس - يتجلى في الشعر المغربي ومنه شعر الطبال مع نصوص مشرقية مستمدة من الذاكرة الشعرية، التي قرأت وحفظت القرآن الكريم وتعلقت به وبارثتها الثقافي والأدبي المشرقي القديم منه والحديث، هذه الصور الشعرية عبرت عن مكانة هذه المدينة المقدسة ومسجدها المبارك في وجدان الطبال، ومما جاء في تلك القصيدة:

القدس شجرة الزيتون

زيتها يضيء

دون نار

القدس جبل يخز صعقاً لله

القدس براق في السماء لا يغيب

القدس مكتنا المباركة المقدسة

القدس حورية عنراء ابنتها الحسنى فدوى طوقان^(٢٥)

وأمام مرأى الشاعر هذه المدينة المقدسة تستباح من قبل اليهود، يؤكد على هويتها الإسلامية، ويناجي ربه بأن يخلصها من هذا الواقع المحزن بصورة تعبيرية فنية، فيقول:

القدس فلسطين وليست أورشليم

صورة المشرق العربي

يا ربنا حديقة السماء تستباح (٢٦)

والجدول التالي يرصد نماذج أخرى من القصائد المغربية، التي شكلت النزعة

الحضارية الإسلامية المشرقية بمضامينها الموضوعاتية:

عنوان الديوان	الشاعر	عنوان القصيدة	موضوعها
إيقاعات الهموم	عبد الله كنون	يوماً فقط	عن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وسقوط القدس وإقامة وطن لليهود في فلسطين.
لوحات شعرية	عبد الله كنون	رثاء بلفور	هجاء لوزير الخارجية البريطاني الذي أعلن قيام وطن لليهود على أرض فلسطين بعد موته.
شموع	محمد الحلوي	وردة نازفة	عن واقع فلسطين والقدس.
المجد للأطفال والحجارة	حسن الأمراني	جميع قصائد الديوان	عن واقع فلسطين والقدس.
رياحين الألم	محمد الرياوي	القتلة، السلاح، المذبح، النجدة، الحجارة	عن واقع فلسطين والقدس.

ثانياً: النزعة الروحية والدينية

عبر الشعراء المغاربة عن النزعة الروحية الدينية للمشرق العربي من خلال مسارين متكاملين مرتبطين بالمشاعر المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فالمسار الأول كان معبراً عن مشاعر الحنين للمسجد الحرام والكعبة المشرفة

===== د عبد الله بن محمد الغفيص =====

والحج ومشاعره المقدسة، والمسار الثاني في المديح النبوي والحنين للمدينة المنورة ومعالمها؛ حيث القبر النبوي والروضة الشريفة وآثار النبي الكريم وصحابته الكرام. فمن نماذج المسار الأول تأتي قصيدة (وتطير حمامة إشراق حول الكعبة) لأحمد الطرييق أحمد^(٢٧) لترسم لنا صورة حية عن الكعبة المشرفة، بأسلوب تتابعي سردي - من زمن البدء في بنائها .. إلى أن تحولت قبلة للمسلمين في أصقاع المعمورة - جسد انفتاحاً في البنية الدلالية والنظمية على مستوى القصيدة، وهذا ما حقق طول القصيدة وحقق معه الوحدة العضوية، حيث الانسجام بين أبياتها في الوقفة الدلالية والنظمية والعروضية في وحدة نفسية مهيمنة على القصيدة، التي بلغت مائة وستين سطرًا شعريًا، ومما جاء فيها:

في البدء ..

وفي فاتحة النشأة والتكوين

لما أشرقت الأرض بنور الله

هاجت سنبلة

طالعة في فردوس الحق

كأن الصورة

مشكاة الأنوار

لم يسرجها زيت أو قار

لم يمسسها لهب أو نار

زيتونة ..

لا غرب ولا شرق

حطت في أول بيت

من تاريخ الخلق

صورة المشرق العربي

حمامة إشراق
ظلت تُلَقَط من كف أبينا إبراهيم
حبيبات النور
فانسلت منها ريشة إعجاز
وتحت ظلال الأمر العلوي
كن فيكون
شاد أركان البيت
إبراهيم .. وإسماعيل
وفي خفقة إبداع قدسي
كانت تلك الموسومة
بالتشريف .. والمرسومة تكعيباً
بمداد الفردوس .. وألوان العرش
سماها بانيتها .. بالكعبة
طافت حول زواياها وهي تلبى لبيك
حمامة إشراق (٢٨)

ومن أمثلة المسار الثاني يأتي ديوان شعري كامل بعنوان (على النهج) لإسماعيل زويريق^(٢٩)، خصصه للمديح النبوي، وقصائد هذا الديوان أشبه ما تكون بسرد لسيرته صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وبعدها، وقد حرص الشاعر على معارضة القصائد الإسلامية الشهيرة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والشوق إليه، كقصيدة كعب بن زهير والبوصيري وابن النحوي، وتأتي قصيدته التي عارض فيها قصيدة كعب بن زهير (باننت سعاد) لتؤكد حبه لرسول الله صلى

د عبد الله بن محمد الغفيص

الله عليه وسلم، وشدة شوقه لزيارته وزيارة تلك البقاع المقدسة في المدينة المنورة، وقد جاء مطلع القصيدة متماهياً مع مطلع قصيدة كعب بن زهير، حيث يقول:

بانث سعاد فما للحزن تمهيل الدمع منسجل والجسم مهزول (٣٠)

....

شوقي إليك رسول الله ليس له حد ولا لرجائي فيك تمثيل
لكنني ويدي من عسرة ضمرت أنا بمراكش الحمراء مغلول
جسمي هنا بين أغراس النخيل بلا عقلا فعقلي إلى الزهراء منقول
أنا هنا ورحاب القلب طائرهما له على القبة الخضراء تهديل
وكلما ذرّ من شمس الشروق على ربعي سنى شبّ في جنبني شعلول (٣١)

وخارج هذين المسارين يأتي شعر مغربي ذو نزعة روحية دينية ممثلاً بالشعر الصوفي، وتأتي قصيدة محمد بنعمارة (الصوت الخفي) أنموذجاً لهذا الشعر الصوفي، الذي عبر من خلال معجمه الصوفي وخطه الدلالي عن الحب الإلهي، وما يسبقه من نشوة وسكر يعايشها الصوفي في رحلة بحثه عن ملكوت هذا الحب، ومما جاء في تلك القصيدة التي يقدمها ببيت لمحي الدين بن عربي:

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران

والتي جاءت بأسلوب حوار بين الشاعر وذلك الصوت الخفي الذي خاطبه

قائلاً:

قال لي منشراً:

إنها كأسك

فانهل

واركب الزورق وارحل

واتجه صوب الضياء

صورة المشرق العربي

قلت محزوناً: شربت

شربت الأكواب

وركبت البحر

وجدفت بمجداف سحاب

لكني .. كنت التائه

في زورق وهم

لا يصل إلى الأعتاب

قال لي:

إنها الكأس التي

تبحث عنها

لذة للشاربين

أنا يا صوت الخفاء

أملأ الكأس

شجوناً

وأناجي الندماء

إن كأسي .. من شراب الله

من خمر السماء^(٣٢)

والجدول التالي يرصد نماذج أخرى من القصائد المغربية التي شكلت النزعة

الروحية والدينية بمضامينها الموضوعية:

د ٠ عبد الله بن محمد الغفيس

عنوان الديوان	الشاعر	عنوان القصيدة	موضوعها
إيقاعات الهموم	عبد الله كنون	مرتج الروح النور المحض الحمى الوسيع طوباك	عن الحج والمناسك. في المديح النبوي. عن البيت الحرام بمكة. عن البيت الحرام بمكة.
ديوان عبد المجيد الفاسي	عبد المجيد الفاسي	إليك حجيج البيت تهنئة كبرى رسول الله عدت إليك شوقاً	عن الحج والمناسك. في المديح النبوي.
رياحين الألم	محمد الرباوي	أوراق مكية	عن مكة المكرمة والكعبة المشرفة.

ثالثاً: النزعة القومية العربية

وطد الشاعر المغربي علاقته بمحيطه العربي المشرقي، وعبر عن ذلك من خلال عدد من القصائد التي جسدت لنا تلك العلاقة بينه وبين دول المشرق العربي بمدنها الحضارية وأحداثها السياسية، وتفاعل مع تلك الأحداث في لبنان والعراق وبلاد الشام ومصر، يشده لذلك عاطفة صادقة وارتباط قومي عربي يوحد العرب أمام التحديات التي يواجهونها في بلادهم، فلتلك العواصم العربية كالقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت منزلة كبيرة في وجدان الشاعر المغربي، الذي كان ينظر إليها نظرة اعتزاز وإجلال؛ لما تحويه من عبق وتاريخ مجيد ارتبط بمخيال الشاعر المغربي وتجلّى في شعره، فعن مكانة المشرق التاريخية تطالعنا قصيدة محمد الحلوي (نسي الشرق)، التي عبر فيها عن مكانة الشرق بالنسبة للعرب جميعاً، مذكراً الشرق والمشرقيين بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم؛ كي يحافظوا على هذا

صورة المشرق العربي

الإرث الحضاري المتجذر الذي يكتنفه المكان في المشرق العربي، ومما جاء في تلك القصيدة:

نسي الشرق أنه كان شرقاً وكما كان قبلة سوف يبقى
نسي الشرق مجده وهو يرتا د مجالي الحياة أفقاً فأفقاً
وبنو الأرض في الضلالة كالعم ي وفي حماة الرذائل غرقى
نسي الشرق أنه منبع النور ومهوى لكل وحي ومرقى^(٣٣)

وعن العلاقة الحضارية التي جسدها المكان والزمان بين مصر والمغرب تأتي قصيدة (مصر والمغرب) لأحمد السوسي التتاني^(٣٤) لتؤكد على منزلة مصر الحضارية في نفوس المغاربة ودورها التاريخي الذي أضاءه بأنواره بلاد العرب في المشرق والمغرب، ومما جاء فيها:

إن الكنانة فرقد في أفقنا وطن الشهامة ما لها من ثان
إلا بلاد المغرب الأقصى الذي يحمي عرين العرب منذ زمان
كلتاهما يحكي عن التاريخ إن مسك اليراع بأصبعي إنسان
ملاً صحائفه ببيض ملاحم في قلب سيناء وفي الجولان
في كل أرض كل بحر شيدا للمجد صرحاً شامخ البنيان
هي ذي عكاظ الشعر قد بعثت هنا ومحا فل الأوزان والألحان^(٣٥)

وفي قصيدة أحمد الطريب أحمد (اهبطوا مصر سلاماً)، ينقلنا الشاعر إلى مصر عندما زارها وانغمس بواقعها الحضاري والاجتماعي بمدنها وأسواقها وآثارها ومساجدها ودور العلم فيها، بأسلوب سردي قصصي بديع، حتى بلغت تلك القصيدة التي لم تشأ أن تنفك عن الشاعر أو ينفك عنها أكثر من أربعمئة سطر شعري، مما يجعلها من طوال القصائد التفعيلية في الشعر العربي المعاصر، وقد جاءت بلغة شعرية مترابطة من خلال التداعي الحر للكلمات، فمقاطع الأسطر

===== د عبد الله بن محمد الغفيص =====

وما فيها من كلمات وجمل شعرية تطول وتقصر هو أمر مرتبط بفضاء القصيدة،
ومرتبط برؤية الشاعر لمضامين تلك الجمل التي عبرت عن شغفه وحبه لمصر
وما تحكيه وما تحويه، فكما استطال الفضاء استطالت الرؤية الشعرية والشعرية
للقصيدة، وهذا ما تحقق في هذه القصيدة، ومما جاء فيها:

اهبطوا مصر سلاماً

أقول لكم

فلا يزعجكم.. ما فيها من صخب اليوم

الذي لا يغشاه.. جهم سحاب

تتحرك قافلة الأحياء.. إلى موقعها

شلال حياة بعد أذان الفجر

خلايا نحل

تعزف موسيقى المثل الأعلى

حباً للأرض وللماء

ما أروع قاهرة الليل

حين يناغي نهر النيل

الساكن سيمفونية الله

تتلو معه أصداء التهليل

...

ظلت أم الدنيا أضحت

فاتحة في سفر التكوين

وهلال الحرف الأول.. يعلو ألواح الأبجديات

صارت تاجاً

في مفرق هذا الشرق

صورة المشرق العربي

الغارق في ألف ليال وليال!

تباهي زهو التيجان

خرائط مملكة لا تغرب عنها

شمس الديان^(٣٦)

وفي ديوان (مواسم الشرق) لمحمد بنيس، الذي تنتمي قصائده لما يعرف بالقصيدة (الكالغرافية أو الكونكريتية)^(٣٧)، تأتي قصيدة (موسم الصفات) لترسم لنا مشهداً حزيناً لبيروت وما أصابها بعد الحرب الأهلية، وأثر ذلك على بقية بلاد المشرق في مصر والعراق والحجاز ودمشق، في قصيدة بصرية تتحسس دلالاتها العين قبل الأذن، فهي قصيدة المكان والكتابة لا قصيدة الكلام والبال الشفوي، قصيدة تركز على شكل الفضاء الطباعي وتجسيم جسد القصيدة الشعرية وإشباعها بالحبر الناطق فوق رقعة السواد، وهي تخاطب العين والبصر وتحاور الحواس الإدراكية للمتلقي، ومما جاء في تلك القصيدة:

بيروت عند الصباح استفاقت على عبء مطهرها صور
تتكسر صوتٌ مضيء يقود إلى رحمٍ يتسرب حشداً يد ويد
والرصاص يوزع موتاً تغير بين جهات التراب فيعطي لرسم
الرياح مصباً يطل على النيل يوماً ويصحو على بردي
وردةً ويمازج بين سبو والفرات

شهيد

يخيط أصابعه بالتراب بفك حزام العبارة تسكن يافاً إليه
تألق خيطاً وخلف درياً تعدد موته عند تخوم الحجاز
ووجدة خالط في سره لغة تتهجي النداء
رأيت دمشق تجرفها فلول النار لم تكذب عيوني ها هي

د عبد الله بن محمد الغفيص

الأشلاء تكشف عن مقابرها رأيت دمشق تهوى في سواد
الموتِ قلت الآن يهوي نصف هذا الشرق ينحلُّ البريق
وتصدأ الرؤيا^(٣٨)

إلى أن يقول:

وكيف ترف في بغداد أجنحة ولا تسعى
لتحضن رحلة الأمواج تبصر حلمك العربي
يذبحُ ترفعُ الأشلاء نازفة على طرق الغبار
وتعرض الآلام مفخرةً من الشباك والأموات
يختبئون في أعماق وحدتهم^(٣٩)

فهذه القصيدة جاءت بعبارات مكثفة متتابعة في الأسطر حتى الانفجار، دلالة على الحالة النفسية التي تملك الشاعر في حديثه عن المشرق والمغرب وما يعيشانه من أحوال سياسية وحضارية متشابهة؛ مما جعل هذه الحمولة المعنوية عن المشرق تتشكل في القصيدة من خلال البناء التصاعدي النفسي، الذي يبدأ بحالة من الاندهاش والغرابة والغموض، إلى أن يصل في نهاية القصيدة إلى لحظة الكشف عن الموقف بانفجار رؤيوي يكشف عن حالته الشعورية والفكرية تجاه قضايا أمته العربية.

وعن العراق وما أصابه وسقوط بغداد في حرب الخليج الثانية سنة ٢٠٠٣م، يسائل الشاعر عبد الحق بن رحمون^(٤٠) طفلة رآها على قارعة العمر المشروخ للأمة العربية، عن تلك الأحداث الجسام التي أصابت العراق، ويسألها من كسر الخيزرانة، كناية عن انكسار العزة العربية، فالخيزرانة رمز للشخصية العربية، ورمز أبعد لزوجة المهدي وأم الرشيد الذي كان يحكم العراق زمن عزه ومجده، ومما جاء في تلك القصيدة:

صورة المشرق العربي

طفلة أسألها على قارعة العمر المشروخ

طفلة أسألها

من كسر الخيزرانة ورقش قدري

طفلة أسألها وأنا سكران

هل انتهت الحرب؟

حرب الإغريق^(٤١)

ويختتم الشاعر القصيدة بمعجم صوفي عبر فيه عن تعلقه ببغداد التي نما حبه

لها في قلبه كما تنمو الأغصان فيقول:

وتسألني مشيئة الفصول عن حجر تموضع في صفصافها

عن بغداد أغصانها بأمشاجي

رجل وامرأة رأيتهما جنب النهر يتهامسان

وفجأة انكشف عنهما الحجاب

ولم أعد أراهما

هل البياض مرآة حجاب الله؟

بالحب يمكن كذلك

أن أعرف لماذا أنا هنا^(٤٢)

وفي قصيدة (تحية إلى المرید المحاصر) للشاعر أحمد الطرييق أحمد يحكي

الشاعر قصة حصار العراق من قبل أمريكا في تسعينيات القرن الميلادي

الماضي لأكثر من عشر سنوات، قبل غزوه في مطلع الألفية الثالثة، ويوجه تحية

إلى سوق المرید التاريخي في العراق، باعتباره أيقونة الصمود في وجه ذلك

الحصار، الذي دمر العراق وأصابه بالشلل في قصيدة طويلة، بلغت أكثر من

===== د . عبد الله بن محمد الغفيص =====

مائة وستين سطرًا شعريًا بث فيها مشاعره وأحاسيسه تجاه بلدي عربي مشرقى له منزلة في وجدان الشاعر، ومما جاء في تلك القصيدة:

وجرحي - بغداد - كجرح المدى، وجرح الفرات،

وجرح الهوية فينا، ومنك التراب

تماهى مع الطمي في خاطري

ق... دراً،

واحمرار الزمان على شفة الأفعان،

تبعثر فوق مياه الخريطة ... يا ليتها

...شربت لونها

وسواد العراق، يجوع ويعرى..

يموت .. ويحيا ..

هو الطفل، يزدرد الأصغرين

يلتهم الأصبعين ...،

ويمتص ما في الدواخل من رمق..

وعروق:

عراق العروق...

عروق العراق...

هو ذاك الرضيع الذي هلّ من صمته،

لزمان الحصار،

يناغي الوجود بوعوعة.. وغناء،

يريد امتصاص الحياة،

ولا من حليب،

وأين الحليب؟(٤٣)

صورة المشرق العربي

والجدول التالي يرصد نماذج أخرى من القصائد المغربية التي شكلت النزعة القومية العربية بمضامينها الموضوعاتية:

عنوان الديوان	الشاعر	عنوان القصيدة	موضوعها
لوحات شعرية	عبد الله كنون	عربي حر	عن واقع الأمة العربية وهزائمها.
الفروسية	أحمد المجاطي	السقوط	تحكي سقوط العرب بعد هزائمهم على يد إسرائيل.
		وراء أسوار دمشق الخمارة	عن دمشق بتاريخها وحاضرها. تحكي واقع العرب المتردي.
شموع	محمد الحلوي	لبنان الشهيد	عن واقع لبنان وحروبه الأهلية.
رذاذ الخريف	أحمد التتاني	عراقي	عن سقوط العراق على يد أمريكا.
فتنة الأقباسي	وفاء العمراني	بيروت الجسد الخرافي	عن حبه لبيروت.
علبة الخسائر	محمد عابد	طفولة الفرح والغضب	عن حبه لفلسطين.
وردة الشعر	سعيد سمعلي	صبراً يا صبرا	عن مذابح صبرا وشاتيلا في لبنان.
الخيوط	محمد واحي	في رحاب أم المعارك	عن غزو أمريكا للعراق وإسقاطه.
رياحين الألم	محمد الرياوي	كتاب الخراب (رجل من الكوفة)	عن العراق وتاريخه.

رابعاً: النزعة الثقافية الأدبية

هناك وشائج وصلات ربطت ما بين الشاعر المغربي ومرجعياته الثقافية والأدبية في المشرق ممثلة بالشعراء الرواد أمثال شوقي وحافظ، وبالشعراء المجددين الحدائين أمثال أمل دنقل ومحمود درويش وأدونيس وغيرهم، هذه الوشائج والصلات جسدها الشعراء المغاربة في قصائدهم التي نحت في بعض تجلياتها منحاً رثائياً لأولئك الشعراء الذين يعز فقدهم ورحيلهم عن هذه الحياة؛ لما لهم من أثر ثقافي وأدبي على أبناء العربية في مشرق العالم العربي ومغربه،

د. عبد الله بن محمد الغفيس

وسأكتفي بأنموذجين رثائيين لشاعرين مغربيين متباينين من حيث الصياغة والأسلوب الشعري؛ كي نقف على تطور التجربة الشعرية في موضوع محدد في رحلة الشعر المغربي المعاصر، فهذا عبد الله كنون يرثي أحمد شوقي في قصيدة جاءت في ستة وثلاثين بيتاً من الشعر العمودي، وهي قصيدة متواضعة من الناحية الفنية من حيث الصياغة والبناء، ومن حيث الصورة والخيال، فهي على غرار القصائد النظمية التي كانت سائدة في المغرب في مطلع القرن العشرين، ومما جاء في تلك القصيدة:

أي مصاب في أسرة الأدب زلزل أقطار السبعة الشهب
ضج له المغربان من بُعد واضطرب المشرقان من كئيب

....

لهفي على شاعر الهلال وما أغمد منه من صارم نرب
قد طالما زاد عن كرامته بكل قول أمضى من القُضب
معدداً في الورى مفاخره مبدداً عنه غيب الريب
كلامه السم ناقعاً فإذا ليته فهو شُهدة الضرب(٥٥)

أما الأنموذج الآخر فيمثلته قصيدة (دمهم تناثر في الأغنيات)، التي يحاور فيها الشاعر عبد السلام المساوي^(٥٥) رموز الإبداع الأدبي الشعري في المشرق العربي، وهم: أمل دنقل من مصر، وأدونيس من سوريا، ومحمود درويش من فلسطين، ويخاطب كل شاعر من خلال لوحة شعرية خاصة به يعنونها باسمه، فأمل دنقل ذلك المصري الجنوبي الذي وضع بصمته في الشعرية العربية لم يمت في نظر الشاعر، بل هو حي في قصائده التي نحيا بها، ويموت دنقل استحضر الشاعر موت كليب الذي أحيا في قبيلة تغلب الثأر من قتلته، واستحضر شخصية

صورة المشرق العربي

المتنبي الذي جعله في لحظة عناق معه، والصقر - رمز الحرية - بينهما يحدق

في الأفق، ومما جاء فيها:

الجنوبي الذي أيقظني

أودعني خوابي أسراره

وانصرف ..

رأيت زهوره الناعسات(٤٦)

و"جوارب السيدة المرتخية"

رأيت كلياً يلحق جرحه

قبل أن يفيء إلى صمت القبيلة..

الجنوبي الذي أرقني لم يمت

ادخر الحياة في الورق

...

رأيت خيوله، بلا مسافة،

تغوص في موضعها

ورأيت المتنبي يعانقه

وكأن الصقر بينهما،

يحدق في الأفق!(٤٧)

وعن أدونيس الشاعر الحدائي الذي شغلته القصيدة بمعناها ومبناها من خلال

محاضراته ولقاءاته التي تحدث فيها عن اللغة الشعرية وماهيتها، يخاطبه الشاعر

مكبراً فيه جلده وشغفه الشعري خلال مسيرته الممتدة عبر الزمن، فيقول:

رجل يكتب الوصية ولا يموت

يخرج من الشقائق التي بايعت دمه

لينقش سيرته على حجر
ساخراً من نبض الثواني
ومن أعراض الشيخوخة..
فجره طرياً كقافية من "أغاني مهيار"
وليله منقوع في كؤوس الصحاب
ليعود للروح سديم المعنى
وعشق العذارى
في دمشق القديمة ..
قل لي أيها الشاعر
الذي أربك الطروس
في قيامة المعنى
أما يزال الشعر كشفاً
أم قد دجنته بروق الشاشات؟
كأنك غريب
يدخل البيت أخيراً
هارباً من مراقص الشباب
ومن لغة تفسخ حبرها
في قصائد النثر (٤٨)

والسطين الأخيرين من هذا المقطع فيهما من جمال الصورة ما يعبر عن موقف الشاعر من قصيدة النثر.

أما محمود درويش فيصف الشاعر المساوي رحلته في الشعر ورحلته عن أرض الوطن، وتجلي الغياب في شعره الثوري الغاضب من خلال معجم لفظي

صورة المشرق العربي

خاص، وتشكيل فني قدم الشاعر به هذه القصيدة، ومما جاء في حديثه عن درويش قوله:

شاعر يحمل البحر في حقيبته

ويصوب نحو الحدود قصيدة

بيكي بلا دمع

إذا هذه الحنين إلى البئر

وإلى أم تُحرر خبزها من وهج الفرن

ولا تعادي أحداً

شاعر تغرب طويلاً وحين عاد

لم يصدق يقين الوطن

فظل في الأحلام يبحث عن صحوة الأرض

ظل يمجّد الغياب

وينسج من مُرقّ الأساطير

هديل النشيد

عاد إلى البدء

كأن الرحلة حين انتهت

لم ترحم تفاهة العمر (٤٩)

لقد استطاع الشاعر أن يوظف الرموز والأحداث التاريخية والشخصيات كمعادل موضوعي لواقع الشعراء موضوع القصيدة، من خلال استحضر بنية الزمن الحاضر المتمثلة في الفعل المضارع، عندما يحكي عن واقع أولئك الشعراء، من خلال تجربة شعرية ارتبطت بمتخيلات متعددة، شكلت مساراتها الفنية من ذلك المتخيل الأدبي الذي استطاع الشاعر أن يرسم معالمه في هذه القصيدة بكل جودة وإتقان.

المبحث الثالث

أسباب ومظاهر التواشج والتعلق الموضوعي المشرقي

في مدونة الشعر المغربي الحديث والمعاصر

ارتباط المغاربة بإرثهم الحضاري في المشرق ارتباط عضوي منذ القدم، نرى ذلك حاضراً في الشعر الأندلسي، وفي كتب الرحالة المغاربة إلى المشرق، فتجليات تلك الصورة المشرقية حضارياً ودينياً وأدبياً كانت ملحة على وجدان ومخيال الشعراء والكتاب المغاربة في مختلف العصور، وما عليه مدار هذه الدراسة هو الشعر المغربي الحديث والمعاصر، متأملين في أسباب ومظاهر هذا التواشج والتعلق الموضوعي المشرقي حضارياً وأدبياً في تلك المدونة، فالتأثير والتأثير بين المشرق والمغرب في العصر الحديث هو شكل من أشكال التواصل الأدبي بين الشعوب العربية، والأفكار والمعاني التي يتنازعها العقل العربي وتمثل ضمير الأمة العربية والإسلامية حضارياً وفكرياً ودينياً واحدة، والشأن كل الشأن في الأسلوب الأدبي الذي يعبر به هذا الشاعر أو ذاك عن تلك المواضيع، ومدى تناصه مع الشعراء السابقين الذين عبروا عن تلك الأفكار.

وللشعر العربي في مشرقه ومغربه سمات موضوعية وفنية مشتركة، اقتضاها الانتماء للجسد العربي الواحد روحياً وحضارياً وفكرياً، فجاءت تلك الومضات الشعرية في دواوين الشعر المغربي لتؤكد للمتلقي هذه الروح النابضة المولية وجهها شطر المشرق العربي بعبقه التاريخي والديني، الذي مثل لأولئك الشعراء إرثاً حضارياً قاراً في مخيالهم الشعري وذاكرتهم الجماعية، والذي كان مصدر إلهام واعتزاز وانتماء.

صورة المشرق العربي

ومن أهم أسباب ومظاهر التواشج والتعالق الموضوعي المشرقي في تلك المدونة، أن الشعر المغربي الحديث والمعاصر جعل من الشعر المشرقي قديمه وحديثه النموذج الأعلى والمثال الأوحد الذي ركن إليه ولاذ بحماه من تلك العزلة التي كان عليها الشعر المغربي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتعد بواكير النهضة في ثلاثينيات القرن الماضي وتأثرها بالمدرسة الإحيائية في مصر من مظاهر هذا التواشج والتعالق الأدبي، أما جيل الستينيات والسبعينيات فقد ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بشعراء المشرق من رواد الشعر الحر وقصيدة التفعيلة، وتواصلوا معهم عقلياً وجدانياً من خلال الاتصال المباشر معهم، إما عن طريق السفر للمشرق في مصر والعراق والشام، وخاصة لبنان، أو من خلال الملتقيات والمؤتمرات التي كانت فرصة لهؤلاء الشعراء الشباب كي يلتقوا بأولئك الرواد، من ذلك أن شعراء من جيل الستينيات أمثال محمد السرغيني، ومحمد الخمار الكنوني، وأحمد المجاطي الذين أسهموا في تأسيس شعرية مغربية جديدة في الإبداع الشعري المغربي المعاصر، كانوا قد درسوا في المشرق العربي وعاشوا الانتفاضات والثورات التي وقعت في المشرق، وما تلاها من انتصار القوميين وحركات التحرر، ومن ذلك أيضاً تأثر هؤلاء الشعراء بحركات التجديد في قصيدة التفعيلة عند السياب والبياتي، فرجعوا إلى المغرب بهذه الحمولة المشرقية التي تلقوها، لكنهم كانوا مؤمنين بوجود جعل ما يكتبونه شعراً مغرباً صرفاً؛ ولذلك التمسوا الكتابة في بعض الأشياء ذات النكهة المغربية^(٥٠).

ويذكر الشاعر والناقد الأدبي محمد بنيس في مقابله له^(٥١) أنه أول ما تعرف على الشعر الحديث كان عن طريق شعر أبي القاسم الشابي، فلما اطلع على شعر السياب ترك كل شيء وانكب عليه يقرأه ويتأمله ويتفاعل معه، ويذكر أن الشاعر الفلسطيني محمود درويش كان محفزاً وداعماً لحركة الشعر الجديد في

د. عبد الله بن محمد الغفص

المغرب، وتكفل بأعمال جلييلة خدمة للشعر المغربي، وقد قام الشاعر عبد اللطيف اللعبي بترجمة شعر محمود درويش ونظرائه من شعراء المشرق في تلك الفترة أمثال سميح القاسم وعبد الوهاب البياتي وغسان كنفاني إلى اللغة الفرنسية، ويعتبر أول من نقله وترجم إبداع هؤلاء الشعراء المشاركة للغة الفرنسية في سبعينيات القرن الماضي.

هذا التأثير بشعراء المشرق، وخاصة رواد الشعر الحر، هو ما دفع أولئك الشعراء المغاربة إلى تفتيت البنية الإيقاعية للقصيدة، وتماهيهم مع تلك الحركة في المشرق حتى لا تكاد تجد شاعراً منذ الستينيات يكتب قصيدة الشطرين إلا ما ندر، إيماناً منهم بأهمية القصيدة المشرقية، كي تكون أنموذجاً يحتكم إليه، ويصدر الشاعر من خلاله، هذه القناعة من الشاعر المغربي مردها أن الفرع يعود إلى أصله الثقافي والحضاري الممتد من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث بحمولته الفكرية والأدبية.

ومن أسباب التواشج والتعالق الموضوعي أن الشريط العربي الحضاري والتاريخي واحد في المشرق والمغرب، وما فيه من نكسات ونكبات وقهر وتشتت وتخلف حضاري، لم يستطع العرب أن يلتحقوا بركب الحضارة الإنسانية في حقبتهم الحضارية المعاصرة، وهو ما انعكس على قصائد الشعراء في المشرق والمغرب، التي نرى فيها تشابه في الرؤى والأفكار والموضوعات الملحة على الشعرية العربية، فقد كانت نفوس الشعراء في المركز والمحيط تخضع لمؤثرات مشتركة في تشكيل الرؤى والأفكار، ثم إن "الجمعيات الأدبية والهيئات السياسية قد استطاعت، رغم الحصار الذي كان مضروباً حولها في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن أن تقيم مهرجانات تأبينية وتذكارية لعدد من شعراء المشرق العربي، ما تزال الصحف الوطنية والمجلات الثقافية تحفظ أعداداً خاصة بهذه الذكريات،

صورة المشرق العربي

تحتوي بحوث وقصائد الأدباء المغاربة الشاهدة على اعتزازهم بأرومتهم العربية وعتيدتهم الإسلامية^(٥٢).

ومن الأسباب والمظاهر الأولى لهذا التواشج الموضوعي المشرقي في تلك المدونة، أن حركة الشعر المغربي الحديث من ثلاثينيات القرن الماضي قد ارتبطت مع المشرق العربي في الدعوة للنهضة الشاملة والتحرر من سطوة الاستعمار، فالأجاء واحد والمصير مشترك، فكانت الموضوعات التي تشغل المواطن العربي بهومومه وآلامه وآماله واحدة؛ ولذلك عبر عنها شعراء المشرق وارتد صداها للمغرب، فتغنى بها شعراؤه ليرتد صداها مرة ثانية للمشرق.

هذه الأسباب والمظاهر تقودنا إلى طبيعة هذا التواشج والتعلق الموضوعي المشرقي في مدونة الشعر المغربي الحديث والمعاصر الذي يتخذ له أشكالاً متعددة، فإما اجترار، أو امتصاص، أو حوار مع تلك النصوص المشرقية، والتي سماها محمد بنيس بقوانين النص الغائب^(٥٣)، ويمثل الشعر الحديث في المغرب في مطلع القرن العشرين عملية اجترار ومحاكاة للنصوص المشرقية، متأثرين بمدرسة الإحياء بالمشرق، بينما يمثل الشعر المعاصر بداية من الستينيات عملية امتصاص وحوار مع مدونة الشعر المشرقي المعاصر وحركاته التجديدية، بل إن بعض النقاد والشعراء المغاربة يعتبرون أن الشعر المغربي المعاصر ما هو إلا انعكاس وصدى للشعر المشرقي وحركاته التجديدية عند رواده، بدءاً من تأثرهم بشعراء الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي أمثال جبران خليل جبران، وإلياً أبو ماضي، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه في شعرهم الرومانسي، الذي يخاطب الذات والوجدان والعلاقة بالطبيعة وبالحبیب شغفاً وألماً وشكايه، وانتهاء بتأثرهم بحركة الشعر الحر عند السياب والبياتي وأحمد عبد المعطي حجازي وخليل حاوي وصلاح عبد الصبور وأدونيس ومهدي يوسف، وشعراء المقاومة الفلسطينية أمثال

د. عبد الله بن محمد الغفيس

محمود درويش وسميح القاسم؛ ولهذا كان انكباب الشعراء المغاربة على قراءة وإعادة كتابة المتن الشعري العربي المعاصر سبباً لإقرار هذه الحركة الشعرية في هذه المنطقة من العالم العربي^(٥٤).

إلا أنه مما يجب التأكيد عليه أن التقاليد الشعرية في الشعر المغربي المعاصر وإن كانت متصلة مع إرثها الشعري في المشرق العربي، فهي في الوقت نفسه منفصلة عنه بشخصية خاصة، لها مكوناتها التي تتكون من فسيفساء تشكلت من مشرق عربي ومغرب أندلسي وأوروبي، ومن هنا تحدث الإضافة والحضور المتجدد للشعرية المغربية المعاصرة ائتلافاً واختلافاً مع فضاءات الشعرية زمانياً ومكانياً في المشرق والمغرب.

وفي موقف الأدباء والنقاد المغاربة من الصلات والوشائج بين الشعرين المشرقية والمغربية نجد تبايناً في التصور والرؤية، فهناك رؤية في مخيال بعض النقاد المغاربة^(٥٥)، تفيد أن الذاكرة الشعرية المغربية تمر بمأزق مغالبتها لمشرق شعري مستحكّم في أصلاته الشعرية ومركزيته القارة في الشعرية العربية لغوياً وثقافياً وحضارياً.

وهذا المأزق وهمي لا حقيقة له، فما الشعرية المغربية إلا امتداد للشعرية المشرقية لغوياً وإيديولوجياً وحضارياً، تشكلان معاً الشعرية العربية بتجلياتها الرؤيوية والإبداعية في تبادلية تأثيرية وتأثرية لواقع شعري له جذوره العربية وآفاقه التجديدية.

ونتبين في كتابات نقاد آخرين^(٥٦) بأن هناك نزعة مركزية تجاه شعر المغاربة في كتابات المشاركة وموقفهم من الشعرية المغربية وتمثلاتها وتمظهراتها في الزمان والمكان، تتجه إلى عدم إعطاء الشعر المغربي حقه من الدرس والاشتغال..

صورة المشرق العربي

وهذا أيضاً تصور واستقراء ناقص لهذه الحالة الشعرية المغربية، فهناك أسباب حصرت الممارسة الشعرية المعاصرة في المغرب في حدود ضيقة، لم تستطع معها تحقيق التحول والتجاوز بسهولة، تتمثل كما حصرها محمد بنيس فيما يلي (٥٧):

- ١ - إن الممارسة الشعرية المعاصرة في المغرب حركة أفراد وليست حركة جماعية.
 - ٢ - افتقار هذه الممارسة لأسس نظرية واضحة.
 - ٣ - غياب حركة نقدية موازية لعملها الشعري.
 - ٤ - هذه الممارسة ضعيفة في الكم، وذات ثقب في امتدادها الزمني.
- يضاف إلى ذلك أن المسار التاريخي للممارسة الشعرية المغربية محتكمة لعناصر تشكلها وشرائط البنية الثقافية والفكرية في ذلك الفضاء الجغرافي.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي تناول موضوعاً في الشعرية العربية في ذلك الفضاء الجغرافي المغربي، في رؤية أولئك الشعراء المغاربة -عبر مخيالهم الشعري- لإرثهم الحضاري في المشرق العربي وتأثرهم بذلك في نتاجهم الشعري، نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

- ١- أن المقاربة الموضوعاتية لصورة المشرق في مدونة الشعر المغربي المعاصر كانت منسجمة ومناسبة لبيان الحقول الدلالية والقيمات المشكلة لها، عبر الفكرة الكلية التي يريد هذا الشاعر أو ذاك التعبير عنها، سواء أكانت حضارية إسلامية، أو روحية دينية، أو قومية عربية، أو ثقافية أدبية.
- ٢- رصد هذا البحث التجليات الحضارية والثقافية والدينية المشرقية في مدونة الشعر المغربي المتماهي مع المشرق، من خلال عدد من النزعات الموضوعية، تمثلت في النزعة الحضارية الإسلامية، والنزعة الروحية الدينية، والنزعة القومية العربية، والنزعة الثقافية الأدبية، عبر حقول دلالية منبثقة من تلك النزعات بتيمااتها ومضامينها التي تقودنا إلى حقيقة ارتباط الشاعر المغربي بمشرقه العربي حضارياً ودينيّاً وفكريّاً وأدبيّاً، وأهمية ذلك لدى أولئك الشعراء، فكل ما وقفت عليه الدراسة من حقول دلالية بتيمااتها وصورها ورموزها التعبيرية والدلالية مرتبطة بحياة الشاعر ورؤيته للعالم، من خلال الرسالة المحورية التي تشكلها تلك النصوص الشعرية التي يروم أولئك الشعراء إيصالها للمتلقي في المشرق والمغرب.
- ٣- توصلت الدراسة إلى أن من أهم أسباب ومظاهر التواشج والتعلق الموضوعي المشرقي في تلك المدونة ما يلي:

صورة المشرق العربي

أ - نظرة الشعراء المغاربة للمشرق بأنه المصدر والإرث الحضاري العربي لجميع العرب.

ب - الجانب الوجداني والروحي المشرقي المؤثر في وجدان وكيان المغاربة، حيث المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وما يرتبط بها من مواسم عبادة في رمضان وأشهر الحج، حيث شعيرتي الحج والعمرة المشكلة للوجدان العربي والإسلامي.

ج - إيمان شعراء التأسيس للشعرية المغربية المعاصرة من شعراء الستينيات بأهمية المشرق ودوره الحضاري والأدبي في تشكيل شعرية مغربية معاصرة، فما الشعر المغربي إلا صدق للشعر في المشرق، كما ذكر ذلك الناقد محمد بنيس وغيره.

د - إن الموضوعات الحضارية والدينية المشكلة لمخيال الشعراء المشاركة والمغاربة واحدة، فموقفهم التأثري والتأثري تجاهها مشترك، ونصوصهم التي يتناولون فيها هذه الموضوعات متناصة فيما بينها، يحكمها أطر ومحددات الشعرية العربية المعاصرة، خاصة لدى جيل الستينيات والسبعينيات الميلادية قبل انفتاح الشعرية المغربية على جغرافيات الشعر في أوروبا وأمريكا عند شعراء الثمانينيات والتسعينيات، وتماهيا معها في الرؤية والبنية.

* *

هوامش البحث

- (*) أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم .
- (١) ينظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وجليسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٥٣.
- (٢) "الفلسفة الظاهراتية تقوم على أن معرفة العالم لا تتأتى بغير تحليل وعي الذات، وهذا الوعي الذي يستبطن الأشياء كما هي بمعزل عن الذات شيء لا طائل منه". النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، يوسف وجليسي، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦٩.
- (٣) جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، مجلة طنجة الأدبية، ٢٤/٢/٢٠٠٩م، ص٨.
- (٤) ينظر: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، رشيد بن مالك، دار الحكمة الجزائرية، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٣٧.
- (٥) جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، ص٤.
- (٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٧) ينظر: النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوربا، فؤاد أبو منصور، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٩٥.
- (٨) هذه الآليات للنقد الموضوعاتي أوردها الدكتور عبدالكريم حسن في كتابه (المنهج الموضوعي) وبين المراد منها، ووظيفتها في العمل الأدبي وفق ما يلي:
- الحسية تعني تناول عالم الحس، فالفكرة لا تكتمل إلا بربطها بالعالم المحسوس، وارتباط الحسي بالخيال في وعي الشاعر لا مناص منه في رؤيته الشعرية.

صورة المشرق العربي

- الخيال مرتبط بالحلم وهو يجسد الغياب في النص، ويقابله الحضور المرتبط بالحس، ومن خلال الخيال يبتدئ الحلم الذي يشكل إيقاعه داخل النص، والحس والخيال هما المشكلان لعناصر العمل الإبداعي.
 - التجانس في العمل الإبداعي مطلب في عناصره المشكلة له وفي سياقاته ودلالاته، لتحقيق الشعرية التي تميز العمل الإبداعي عن غيره من أنماط الخطاب.
 - العمق في المعنى الشعري هو الذي لا يبحث عن المعنى المباشر، وإنما عن المعنى الضمني المتحقق في معنى المعنى، وهذا المعنى الثاني لا يتحقق من خلال معاني المفردات والتراكيب داخل النص، وإنما يتحقق فيما بينها من علاقات ونظام إزاحة تحقق هدف الشاعر وقصديته من هذا الخطاب الشعري.
 - القصديّة من قبل المبدع لا تعني عدم انفتاح آفاق التأويل من قبل المتلقي، بل هي مساعدة لتلك الآفاق كي تتشاكل وتتباين معها، وهذا ما دافعت عنه التداوليات المعاصرة في مقاربتها للنصوص.
 - حركة الدال والمدلول في القراءة الموضوعاتية قراءة ذات مسارين؛ يرتبط أحدهما بالدال وتشكلاته وتموقعه داخل النص، ويرتبط الآخر بالمدلول وحركته مع هذا الدال في رسم خريطة النص الإبداعي من خلال مستويات اللغة المختلفة.
 - مستتبعات التراكيب تقتضي دراسة الموضوع في علاقته مع الموضوعات الأخرى التي تشكل رؤية الشاعر الشعرية، من خلال ما يعرف بالعائلة اللغوية والعلاقات فيما بين ألفاظها من حيث الاشتقاق والترادف والقرباة المعنوية. ينظر: المنهج الموضوعي نظرية تطبيق، عبد الكريم حسن، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٤٥ - ٧٢.
- (٩) يعد عبد الله كنون الأديب والعالم الإسلامي المغربي من أبرز الأدباء الذين نظموا الشعر الفصيح في ثلاثينيات القرن العشرين وما بعدها، وهو من الشعراء الإحيائيين الذين اعتمدوا على التراث وحركات الإحياء في المشرق، وكان شغوفاً بها، وانعكس ذلك على شعره، الذي سخره للقضايا العربية والإسلامية في ديوانيه (لوحات شعرية) و(إيقاعات

د ٠ عبد الله بن محمد الغفيص

الهموم)، اللذين أصدرهما في سبعينيات القرن الماضي، بعد مضي عقود على نظم تلك القصائد، فقضايا الأمة العربية والإسلامية وارتباطه الوجداني بتلك القضايا جعل رؤيته الشعرية تدور في فلكها من خلال عدد من القصائد التي جاءت موضوعاتها وأفكارها كحقول دلالية في السياسة والدين والأدب والأخلاق.

(١٠) ديوان لوحات شعرية، عبد الله كنون، تطوان، المغرب، د.ط، ١٩٦٦م، ص ٧.

(١١) المصدر السابق، ص ١١.

(١٢) الحسين بوعزة القمري، محام وشاعر وأديب وكاتب مسرحي مغربي، ولد بمدينة الناظور، شمال شرق المملكة المغربية سنة ١٩٤٤م، حاصل على شهادة البكالوريا سنة ١٩٧٤م، وعلى الإجازة في العلوم القانونية سنة ١٩٧٦م، عمل مدرساً ثم مديراً بالمؤسسة التعليمية، قدم شعره في عدد من الدول العربية، توفي سنة ٢٠٢٢م، ينظر: ديوان هديل الروح، صفحة الغلاف.

(١٣) هديل الروح، الحسين القمري، منشورات المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٤٢.

(١٤) ولد الشاعر أحمد المجاطي سنة ١٩٣٦م، بمدينة الدار البيضاء، حصل على الإجازة في الأدب من كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٦٢م، كما حصل من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط على دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٧١م، حول موضوع (ظاهرة الشعر الحديث)، وعلى دكتوراه الدولة سنة ١٩٩٢م حول موضوع (أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث)، عمل أستاذاً جامعياً في كلية الآداب بفاس عند بداية تأسيسها، ثم في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، صدر له ديوان الفروسية سنة ١٩٨٧م وكتاب (أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث) سنة ١٩٩٣م، توفي سنة ١٩٩٥م. ينظر: ديوان الفروسية، صفحة الغلاف.

(١٥) ديوان الفروسية، أحمد المجاطي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ط١، ١٩٨٧م، ص ٢٨-٢٩.

صورة المشرق العربي

(١٦) محمد بنعمارة، أديب وشاعر إسلامي معاصر، ولد سنة ١٩٤٥م بمدينة وجدة بالمغرب، نشأ وترى في بيئة دينية، وتابع دراسته الابتدائية والثانوية والعالية بمدينة وجدة حتى حصل على الإجازة في الآداب من جامعة محمد الأول بوجدة سنة ١٩٨٣م، وعلى شهادة استكمال الدروس العليا من جامعة محمد بن عبد الله في فاس سنة ١٩٨٥م، صدر له خمسة دواوين وعددا من الأبحاث النقدية. ينظر: من الشعر الإسلامي الحديث، مختارات من شعراء الرابطة، مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣١٦.

(١٧) من الشعر الإسلامي الحديث، مختارات من شعراء الرابطة، ص٣١٧.

(١٨) المرجع السابق، ص٣١٩.

(١٩) ولد عبد المجيد الفاسي في مدينة فاس سنة ١٩٠٩م، ويعد من أبرز علماء جيله، ومن أعلام الشعر المغربي الحديث، وهو من شعراء الثلاثينيات والأربعينيات في فترة ما قبل الاستقلال، من أسرة علم وثقافة، كان له مكانة اجتماعية في بلاد المغرب. ينظر: ديوان عبد المجيد الفاسي، ص١١.

(٢٠) ديوان عبد المجيد الفاسي، تحقيق: سعيد الفاضلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٧م، ص٢٩٨.

(٢١) محمد الحلوي من مواليد مدينة فاس سنة ١٩٢٢، تلقى دراسته بجامعة القرويين بنفس المدينة، نال الإجازة في آداب اللغة العربية سنة ١٩٤٧م، درس في القرويين وفي تطوان، تعرض لاضطهاد الفرنسي، نال عدة جوائز أدبية في عدة مناسبات وطنية بعد التحرر من الاستعمار، ينظر: ديوان شموع، صفحة الغلاف.

(٢٢) ديوان شموع، محمد الحلوي، المدارس للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٠٢-٢٠٥.

(٢٣) ديوان الفروسية، ص٥٥.

(٢٤) ولد عبد الكريم الطبال بمدينة شفشاون سنة ١٩٣١م، يعتبر من المؤسسين للحدادة الشعرية في المغرب، من جيل الستينيات، استمر في النشر الشعري طوال سبعة عقود، بدأ نشر قصائده في مجلة الأنيس سنة ١٩٥٤م، وأول ديوان صدر له سنة ١٩٧١م، بعنوان

د عبد الله بن محمد الغفيس

(الطريق إلى الإنسان)، وآخر ديوان سنة ٢٠٢١م بعنوان (الوردة فوق الأرض)، الذي استشهدنا بقصيدة من قصائده، نال عدداً من الجوائز، منها جائزة المغرب للكتاب العربي مرتين سنة ١٩٩٤م، و٢٠١٦م. ينظر: عبد الكريم الطبال ناسك الجبل، حوار في الحياة والشعر، لعبد اللطيف الوراري، ومقالة: كتابات في تاريخ منطقة الشمال، عبد الكريم الطبال ناسك الجبل، لأسامة الزكاري، صحيفة الشمال، العدد ٨٨٤، إبريل ٢٠١٧م، ص ١٦.

(٢٥) ديوان الوردة فوق الأرض، عبد الكريم الطبال، سليكي أخوين للطباعة، طنجة، ط٢، ٢٠٢١م، ص ١٣٣.

(٢٦) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٢٧) أحمد الطريق أحمد شاعر مغربي، ولد في مدينة طنجة سنة ١٩٤٥م، أستاذ جامعي، ومن الشعراء المجددين أصحاب النفس الطويل، حصل على دكتوراه الدولة في موضوع (الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل) سنة ١٩٩٧م، نشأ في بيئة صوفية، فانعكست على نصوصه الشعرية، فاعتبر أحد رواد الشعر المغربي المعاصر ذي المنحى الصوفي، توفي سنة ٢٠٢٣م، ينظر موقع: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، فهرس الترجمات العربية.

(٢٨) الأعمال الشعرية مسار تجربة ١٩٦٨-٢٠١٠م، أحمد الطريق أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١١، ص ٤٤٦.

(٢٩) إسماعيل بن عمر زويريق شاعر مغربي، ولد سنة ١٩٤٤م بمراكش، وهو كاتب وفنان تشكيلي، وباحث في التراث الشفهي المغربي، قصائده جاءت من الشعر العمودي، وهو من الشعراء أصحاب المطولات، له قصيدة في الخلفاء الراشدين زادت عن ألف بيت. ينظر موقع: التبراة، قاعدة معلومات، ثقافي، أدبي، الإمارات، أبو ظبي.

(٣٠) ديوان على النهج، صدر الجزء الأول منه ٢٠٠٤م، والجزء الثاني ٢٠٠٦م، دار وليلي، مراكش، ١/١٥.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

صورة المشرق العربي

(٣٢) ديوان في الرياح وفي السحابة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، ٢٠٠١م، ص ٨١-٨٤.

(٣٣) ديوان شموع، ص ٢٢٠.

(٣٤) أحمد السوسي التتاني من مواليد مدينة سلا المغربية سنة ١٩٣٢م، حصل على دبلوم اللغة العربية والترجمة من معهد الدراسات المغربية العليا، عمل بوزارة المالية إلى أن أحيل على المعاش سنة ١٩٩٣م، حصل على وسام العرش الملكي، انخرط في سلك التعليم في مقتبل حياته، شغف بالآداب الإنسانية عامة، والعربية على وجه الخصوص، وبالشعر العمودي بوجه أخص. ينظر: ديوان رذاذ الخريف، صفحة الغلاف.

(٣٥) ديوان رذاذ الخريف، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٤٤.

(٣٦) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٣٧) ينظر: جميل حمداوي، القصيدة الكونكرينية في الشعر العربي المعاصر (١-٢)، مجلة

الإنطولوجيا الإلكترونية، ٢٠٢١م.

(٣٨) الأعمال الشعرية، ج ١، مواسم الشرق، محمد بنيس، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء،

ط١، ٢٠٠٢م، ص ٤٠٢-٤٠٣.

(٣٩) المصدر السابق، ص ٤٠٦.

(٤٠) عبد الحق بن رحمون شاعر وإعلامي مغربي، صدر له ثلاثة دواوين شعرية، تعتبر

تجربته الشعرية منذ انطلاقتها في أواخر القرن الماضي منتصرة للحدثة الشعرية موقفاً

وصياغة، قصيدته مهووسة بالمغايرة والتجريب واجتراح لغة جديدة للشعر. آخر ديوان

صدر له (صاحبة السعادة)، سنة ٢٠٢٠م.

(٤١) ديوان مكائد الأنفاس، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١م،

ص ٢٣.

(٤٢) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٤٣) الأعمال الشعرية، ص ١٢٣-١٢٤.

د عبد الله بن محمد الغفيس

- (٤٤) ديوان إيقاعات الهموم، ص ١٦-١٧.
- (٤٥) ولد عبد السلام المساوي سنة ١٩٥٨م، بأيلة في المغرب، حاز على جوائز عديدة منها جائزة بلند الحيدري عن ديوانه (سقوف المجاز)، ٢٠٠٠م، حاز على دكتوراه الدولة في الأدب العربي المعاصر، يعمل أستاذ التعليم العالي بمركز تكوين بفاس، يتوزع إنتاجه ما بين الشعر والسرد والنقد الأدبي، له عدة دواوين شعرية. ينظر: موسوعة ويكيبيديا.
- (٤٦) إشارة إلى قصيدة أمل دنقل الشهيرة (زهور).
- (٤٧) ديوان عصافير الوشاية، عبدالسلام المساوي، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٦٩-٧٠.
- (٤٨) عصافير الوشاية، ص ٧١-٧٢.
- (٤٩) المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦.
- (٥٠) ينظر: حوار مع الشاعر والناقد د.محمد السرغيني، مجلة الثقافة المغربية، العدد ٣٧، أكتوبر، ٢٠١٣م، ص ٦٩.
- (٥١) مقابلة تلفزيونية في قناة الغد، برنامج بيت ياسين مع الأديب والشاعر ياسين طه.
- (٥٢) الشعر العربي مقارنة تاريخية، ص ١٤٩.
- (٥٣) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص ٢٦٨.
- (٥٤) المرجع السابق، ص ٢٧٣.
- (٥٥) ينظر: صبحي حديد، ملاحظات وجيزة حول مشهد شعري فسيح، مجلة الثقافة المغربية، العدد ٣٧، ص ٦٤.
- (٥٦) ينظر: كتاب الشعر الحديث في المغرب العربي، ١/١٤-١٥.
- (٥٧) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص ١٢.

**

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. الأعمال الشعرية، محمد بنيس، مواسم الشرق، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢م.
٢. الأعمال الشعرية، مسار تجرية (١٩٦٨-٢٠١٠)، أحمد الطرييق أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١١م.
٣. ديوان إيقاعات الهموم، عبد الله كنون، د.ط، ١٩٦٩م.
٤. ديوان الخيط، محمد واحي، منشورات مرسوم، الرباط، ط١، ١٩٩٤م.
٥. ديوان رذاذ الخريف، أحمد السوسي التتاني، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.
٦. ديوان رياحين الألم، محمد علي الرباوي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط١، ٢٠٢٠م.
٧. ديوان شموع، محمد الحلوي، منشورات المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨م.
٨. ديوان عبد المجيد الفاسي، تحقيق: سعيد الفاضلي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط١، ١٩٩٧م.
٩. ديوان عصافير الوشاية، عبد السلام المساوي، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس، ط١، ٢٠٠٣م.
١٠. ديوان علبة الخسائر، محمد عابد، منشورات وزارة الثقافة، ط١، ٢٠٠٤م.
١١. ديوان على النهج، إسماعيل زويرق، دار وليلى، مراكش، ط١، ٢٠٠٤م.
١٢. ديوان فتنة الأفاصي، وفاء العمراني، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.

د عبد الله بن محمد الغفيس

١٣. ديوان الفروسية، أحمد المجاطي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط١، ١٩٨٧ م.
١٤. ديوان في الرياح وفي السحابة، محمد بنعمارة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ٢٠٠١ م.
١٥. ديوان لوحات شعرية، عبد الله كنون، د.ط، ١٩٦٦ م.
١٦. ديوان مكائد الأنفاس، عبد الحق بن رحمون، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ٢٠٠١ م.
١٧. ديوان هديل الروح، الحسين القمري، منشورات المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ٢٠٠٠ م.
١٨. ديوان وردة الشعر، سعيد سمعلي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ٢٠٠١ م.
١٩. ديوان الوردة فوق الأرض، عبد الكريم الطبال، منشورات سليكي أخوين، طنجة، ط٢، ٢٠٢١ م.

ثانياً: المراجع:

١. أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، عبد الله كنون، دار الثقافة، الدار البيضاء، د.ط، د.ت.
٢. إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، يوسف وجليسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م.
٣. الأيديولوجية العربية المعاصرة، عبد الله العروي، ترجمة: محمد تسماني، دار الحقيقة، بيروت، ط١، ١٩٧٠ م.
٤. الذاكرة والصورة، قراءات نقدية في الشعر المغربي المعاصر، علي آيت أوشان، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠٠٥ م.

صورة المشرق العربي

٥. الشعر الحديث في المغرب العربي، يوسف ناوري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦م.
٦. الشعر العربي الحديث، ٣- الشعر المعاصر-، محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م.
٧. الشعر المغربي مقارنة تاريخية ١٨٣٠-١٩٦٠، محمد أديب السلاوي، أفريقيا الشرق، ط١، ١٩٨٦م.
٨. الشعر وأفق الكتابة، صلاح بوسريف، منشورات ضفاف، الرباط، ط١، ٢٠١٤م.
٩. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقارنة بنبوية تكوينية، محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٤م.
١٠. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، رشيد بن مالك، دار الحكمة الجزائرية، ط١، ٢٠٠٠م.
١١. القصيدة المغربية المعاصرة بنية الشهادة والاستشهاد، عبد الله راجح، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨م.
١٢. القول الشعري واللغة الرمزية، من أسئلة الآخر إلى أسئلة الذات، نور الدين محقق، سلسلة دفاتر الاختلاف، مكناس، ط١، ٢٠١١م.
١٣. من الشعر الإسلامي الحديث، مختارات من شعراء الرابطة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.
١٤. النقد البنيوي الحديث بين لبنان وأوريا، فؤاد أبو منصور، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
١٥. النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، يوسف وغليسي، إصدارات رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢م.

* * *